عزاء النفس ، وعندها تتناقض المواقف حتى من واقع نظرته للآخر على نحو ما تحكيه مواقفه من عالم المرأة موزعة بين زوجة الفارس :

وقد علمت عرسى مليكة أننـــــى أنا الليث معدًوا علىَّ وعاديـــــا

وبين صورة السجَّانة التى رأيناها تستوقفه ، وحتى بين جموع النساء من أهل الخيانة :

وظلَّ نساءَ الحى حولى ركـــــدا يراودن منى ما تريد نسائيـــــا

وعبر تضاد هذه الصور يتجلَّى تضاد عالم الشاعر صراعاً بين الماضى والحاضر ، مما يدفعه إلى قبول صيغة التفاوض مع القوم ، بدءا من محاولته تبرته نفسه من تهمة لاصلة له بها :

أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحـــوا فإن أخاكم لم يكن من بوائيـــا

إلى محاولة إغرائهم بفك أسره وقبول فدائه :

فإن تقتلونى تقتلوا بى سيـــــدا وإن تطلقونى تحربونى بماليـــــا

إلى طلبه منهم أن يفكوا لسانه :

أقول وقد شدوا لسانى بنسعـــــة أمعشر تيم أطلقوا من لسانيـــــا

مع مراعاة ما يعكسه مثل هذا الموقف من خوف القبائل من كلمة الهجاء حتى فى لحظة الموت ذاتها ، ألم يعرفوا أن جرح اللسان كجرح اليد » و أن « القول ينفذ لا تنفذ الإبر » كما صرح بعض القدماء فى سياق أشعارهم[1] ، ولعل الأمر قد فرض نفسه حتى على البيئات النقدية إذا ما أخذنا بمقولة ابن رشيق من إباحة الفخر للشاعر الجاهل بنفسه دون سواه (ليس لأحد أن يطرى نفسه ويمدحها فى غير منافرة إلا أن يكون شاعراً فإن ذلك جائز له فى الشعر غير معيب عليه »[2] .

ومن هنا كان حرص الشاعر على ذكر مناقبه حتى فى حالة الأسر ، وبيان قدرته على التأسىّ والصبر والتجلد ، ومواجهة لحظة الألم ، إلى جانب محاولة النجاة منها عبر ذكريات الوفاء الأسرى التى ربطته بقبيلته عبر ماضيه وحتى لحظة أسره .

---

(١) الأول شطر بيت لامرئ القيس ، والثاني شطر بيت للأخطل

(٢) العمدة ١/ ٢٥ .